

## مقابلة\*

إسماعيل أبو شنب:\*\*

وافقنا على الهدنة لإعطاء فرصة للشارع

الفلسطيني لالتقاط أنفاسه، وفرصة لجهود الحكومة

■ لماذا وافقتكم على الهدنة؟ هل يعبر هذا عن ضعف حركة "حماس" وعدم قدرتها على مواجهة الاستهداف الإسرائيلي - الأميركي؟

□ الهدنة التي وافقنا عليها لم تأت من ضعف، بل جاءت في أوج تقدم الحركة بعد عملية استشهادية في القدس هزت كيان العدو الصهيوني، وكانت رداً مزلزلاً ومفاجئاً وسريعاً على محاولة اغتيال الدكتور عبد العزيز الرنتيسي. لم تكن في حالة هزيمة وإنما في أوج انتصاراتنا على العدو، وفي أوج صمودنا في وجه ممارساته.

من جانب آخر، تؤخذ الضغوط الأميركية في الحسبان ولها وزن في معادلتنا، لكنه وزن خفيف إذا ما قورن بقناعتنا بالوحدة الداخلية الفلسطينية، وبإعطاء الشارع الفلسطيني فرصة التقاط أنفاسه. وأقول الشارع الفلسطيني لا "حماس" لأن "حماس" صامدة والحمد لله، لكن الشعب الفلسطيني مكوناته كثيرة ويجب أن تؤخذ في الحسبان. هذا بالإضافة إلى إعطاء جهود الحكومة الجديدة فرصة من أجل: إما أن تقتنع بأن طريق التفاوض خطأ، وإما أن تجلب لشعبها فوائد حقيقية. وبالتالي هذه فرصة لجس النبض واختبار النيات.

ثالثاً، وكى أكون صريحاً، نحن نراهن على أن العدو الإسرائيلي لن يحترم الشروط التي أعلنها، وليس في نيته أن يحترمها، لأنه عدواني. وبالتالي نحن نزيل القناع عنه

---

(\*) تمت في غزة بتاريخ 6 تموز/ يوليو 2003، وأجراها وحررها أشرف العجرمي.  
(\*\*) عضو القيادة السياسية لحركة "حماس" ومحاضر في كلية الهندسة في الجامعة الإسلامية - غزة. وفي أثناء وجود هذا العدد في المطبعة، أعلن استشهاده نتيجة استهدافه بقصف صاروخي جوي إسرائيلي.

بعد أن بدأ في إثر 11 أيلول/سبتمبر، تصاحبه الدعاية الأميركية - الصهيونية المعادية لقضيتنا، بخلط الأوراق بين مشروع المقاومة والإرهاب، بحيث أصبحت مقاومتنا للاستيطان والاحتلال في القاموس الأميركي إرهاباً، والقاموس العربي سيخضع لهذا المفهوم.

تفهماً للمعطيات الدولية قررنا أن نعطي هذه الجهود فرصة، ونحن لا نخاف التهديدات الأميركية، لأن أميركا لا تملك أوراق ضغط ضدنا، ونحن لا نتمول من أية دولة للولايات المتحدة سلطة عليها؛ فتمويلنا ذاتي.

■ لماذا أعلنتم الهدنة من دون انتظار الاتفاق مع حركة "فتح"، مع أن ثمة مفاوضات كانت تجرى معها؟

□ أود الحديث بصراحة عن هذا الموضوع. نحن نسقنا مع "فتح" في السجون، وصدر عنهم موقف داعم لفكرة الهدنة حيث كان هناك اتصال بين مروان البرغوثي وخالد مشعل، رئيس المكتب السياسي للحركة، واتفق الطرفان على مسودة مبادرة أعدتها الحركة وأعلم بها الرئيس ياسر عرفات الذي قال بالحرف: "على بركة الله". وكنا قريبين من التفاهم على إصدار هذا النص مباشرة بعد الضوء الأخضر من الرئيس عرفات نحن والجهاد الإسلامي وحركة "فتح"، إذ إن الجبهتين الشعبية والديمقراطية أعلنتنا موقفاً ضد الهدنة وكانتا خارج التنسيق بشأن هذا الموضوع.

وفوجئنا ليلة الإعلان بأن اتصلت بنا حركة "فتح" وقالت إن ما اتفقتم عليه مع مروان البرغوثي ليس ملزماً لنا في "فتح" ونريد مناقشة الموضوع. فاتصلنا بالأخ أبو عمار فقال لا مانع في أن تتصلوا بالإخوة في غزة وتنسقوا معهم. هنا شعرنا بأن هناك طرفاً لا يريد لفكرة الهدنة أن تنجز، وكأنه خلط للأوراق، إما مناكفة لأبو مازن وإما تشويشاً على المبادرة التي تريد "حماس" أن تعلنها، أو محاولة لإحراج "حماس"، لأن ما طرح من قبل الإخوة في "فتح" هو أنهم يريدون وثيقة تتحدث عن شرط القبول بخريطة الطريق، بينما تحدثنا نحن عن مبادرة ذاتية للهدنة مشروطة بالإفراج عن المعتقلين ووقف العدوان على شعبنا بعيداً عن أي مدلول سياسي. فقررنا إعلان الهدنة ولو لوحدها، لكن الإخوة في الجهاد الإسلامي أيدونا في هذا الموقف وأعلننا موقفاً مستقلاً، والعوائق كانت من "فتح" لا من قبلنا.

## ■ هل تعتبر موافقتكم على الهدنة قبولاً من حيث المبدأ بالتسوية السياسية، أو بالمفاوضات من أجل هذه التسوية؟

□ إطلاقاً لا، مع أن هناك تقاطعاً بين هذه الفكرة وبين مشروع أبو مازن للتفاوض. ونحن نقول إننا يجب أن نسعى دائماً لأن يكون للشارع الفلسطيني، على اختلاف وجهات النظر فيه، قواسم مشتركة للعمل المشترك، وأن يكون لديه آلية للتناغم ولو اختلفت الاستراتيجيات، وآلية لضبط الإيقاع كالفرقة الموسيقية. فالمقاومة هي ورقة ضغط في يد الشعب الفلسطيني الذي لا يملك أوراق ضغط سواها، والتفاوض هو وسيلة من أجل تجنيد دعم دولي لإقناع العدو بالانسحاب، وأيضاً هذه ورقة من نوع آخر. نحن نريد أن تنسجم هاتان الورقتان في مصلحة الشعب الفلسطيني، وليس من باب قناعتنا بأن خريطة الطريق على صواب، أو أن التفاوض سيوصلنا إلى شيء.

## ■ هل تعتقدون أن الهدنة محاولة لجر الجميع إلى فخ تصفية المقاومة؟

□ هذا ما يخطط له العدو الإسرائيلي بالتنسيق مع أميركا. وهم قالوا في أكثر من مناسبة أنهم لا يقبلون الهدنة، ويريدون تصفية المقاومة. لكن نتيجة إباح السلطة الفلسطينية قبلت أميركا وإسرائيل بفكرة الهدنة لتعزز السلطة قوتها في المرحلة الأولى فتستطيع أن تتحكم في المقاومة وتحجمها فيما بعد.

هذا مخطط إسرائيلي - أميركي نحن واعون له. وهناك صراع بين إرادتين: إرادة محاصرة المقاومة في هذا المشروع، وإرادة حماية المقاومة. ومن هنا سنعمل على حماية المقاومة وتقويتها بهذه الهدنة، وسنعمل على تلافي نقاط الضعف.

## ■ هل تثقون بالحكومة الفلسطينية وبوعود أبو مازن تحديداً؟

□ في السياسة لا يوجد مبدأ ثقة بقدر ما توجد مصالح. ومصالح الحكومة واضحة الآن، فهي بحاجة إلى تقوية ثقة الشعب الفلسطيني بها لأنها جاءت بدعم من أميركا. وهي، بالتالي، تريد أن تقنع شعبها بأنها تعمل لمصلحته. وهذا الدافع يجعلنا نمنح الحكومة هذه الفرصة. وفي اللحظة التي يتبين لنا أنها تسعى لعكس ذلك سيكون لنا موقف آخر. نحن سنعمل بوعينا على ضبط إيقاع هذه الحكومة لما يخدم الشعب الفلسطيني، وعندما تنحرف لن نقبل لها بهذا الانحراف.

## ■ هل تعتقدون أنه يمكن لخريطة الطريق أن تأتي بدولة فلسطينية قابلة للحياة؟

□ دعنا لا نتحدث عن اعتقاد. نحن نتمنى أن تكون لنا دولة فلسطينية. وخريطة الطريق تنص على دولة فلسطينية في المرحلة الثالثة. لكن في المرحلة الأولى هناك التزامات أمنية فلسطينية ومطالب لا حصر لها من الجانب الإسرائيلي، وهذا سيطيّل أمد استحقاق الدولة.

الدولة مشروع مهم في نظرنا وفي استراتيجيتنا الإسلامية. نحن في "حماس" نرى في إقامة دولة فلسطينية على أي جزء يتم تحريره حقاً فلسطينياً ذا مغزى استراتيجياً نستطيع من خلاله أن نبني قاعدة قوية لشعبنا على طريق تحرير باقي أرضه وعودة اللاجئين إلى ديارهم. ونحن نشكك في النيات من وراء خريطة الطريق.

## ■ ما هي شروط الحد الأدنى المقبولة بالنسبة إلى الدولة الفلسطينية من وجهة نظركم؟

□ أهم شيء أن تكون أرضاً حرة ذات سيادة، وأن تكون خالية من المستعمرات، وألا تتنازل عن حق الشعب الفلسطيني في باقي الأراضي الفلسطينية.

## ■ إذا لم ينجح مشروع خريطة الطريق في الوصول إلى شيء، ما هو البديل العملي للفلسطينيين؟

□ البديل العملي هو ما يعيشه الفلسطينيون الآن من حالة انتفاضة. فالانتفاضة ليست مرحلة وإنما حالة جماهيرية غاضبة على الاحتلال وتقاومه بكل ما لديها من قوة، مرة بالعمل الشعبي، ومرة بالمقاومة المسلحة، ومرة بالاحتجاج. وما دمنا في ظل الاحتلال يجب ألا نلقي السلاح أو نفقد المقاومة أو القدرة على تفعيل الشارع الفلسطيني ضد الاحتلال. فالفشل متوقع، ويجب أن نحفظ بالخيار الآخر، وهو خيار استمرار المقاومة.

## ■ ألا تفكرون في الانضمام إلى المؤسسة الفلسطينية، السلطة أو منظمة التحرير، أو المشاركة في الانتخابات المقبلة للمجلس التشريعي؟

□ دعني أوضح، في البداية، أننا جزء من المؤسسة الفلسطينية التي تعني الشعب الفلسطيني، فنحن جزء من هذا الشعب. وهناك مؤسسة تقليدية كانت تقود الشعب

الفلسطيني في مرحلة من مراحل نضاله، لكنها بهتت وترهلت وفقدت الأهلية للتعبير عن تطلعات الشعب وهمومه، بما جرى عليها من تقادم وإلغاء للميثاق وقيام سلطة فلسطينية، وبما آلت إليه أحوالها من دون انتخابات، وبالتفرد وعدم الانتظام.

نحن بحاجة إلى صيغة جديدة نؤمن بها وندفع في اتجاهها، لكن لا يوجد من يساعدنا حتى في إطار هذه المؤسسات. لقد أعلننا، مراراً وتكراراً، أننا مع إعادة صوغ منظمة التحرير على أسس ديمقراطية تكفل مشاركة الجميع، وتضمن تمثيل الشعب الفلسطيني في الداخل والشتات. الكل يتحدث عن السلطة الفلسطينية كممثل للشعب الفلسطيني بدلاً من منظمة التحرير التي أصبحت عاجزة عن تمثيله، وغير قادرة على احتواء الكل الفلسطيني.

نحن نتطلع إلى اللحظة التي تتحلل فيها السلطة الفلسطينية من التزاماتها تجاه إسرائيل وتجاه الاتفاقات التي تكبل المقاومة، مثل اتفاق أوسلو وغيره، لتكون خليطاً فلسطينياً واحداً في بوتقة سياسية واحدة. وإذا حدث ذلك ستكون لنا مشاركة فاعلة في الترتيبات السياسية المقبلة كلها.

### ■ كيف تنظرون إلى دعوات تشكيل قيادة وطنية موحدة، وهل ترونها جدية؟

□ إننا ممن اشترك في كل النقاشات بشأن فكرة قيادة وحدة وطنية. وللأسف اكتشفنا في النهاية أن المقصود هو استدراج حركة "حماس" لتقبل بالانخراط في العملية السياسية من دون أن يكون هناك أي مشروع فلسطيني شامل للتحرير. وفي تقديرنا لم يكن هناك دعوة جدية بهذا الخصوص.

كل فصيل يطرح الموضوع من زاويته الخاصة: اليسار الفلسطيني يريد التمثيل النسبي لأنه يريد أن يكون له وجود سياسي في الميدان. و"فتح" تريد احتواء الفصائل على غرار ما مارسته في السابق، وقد عرضت علينا أن نشارك بعضو في اللجنة التنفيذية. وهذا مرفوض من قبل "حماس".

### ■ وماذا تريد "حماس"؟

□ "حماس" تريد صوغ منظمة التحرير على أسس ديمقراطية، وأن تجرى انتخابات للمجلس الوطني الفلسطيني في الداخل والشتات أينما توفر ذلك، بحيث يعكس المجلس

تمثيلاً عادلاً للداخل والشتات وفق النسبة العددية، وبهذا نكون وضعنا أقدامنا على الطريق الصحيح. أما التفرد ومعادلة "الكوتا" القديمة التي استطاعت "فتح" من خلالها أن تتفرد بالقرار الفلسطيني وتموه على الفصائل بأن تبقى الأغلبية في يدها، فهذا مرفوض من "حماس".

■ لو تم الاتفاق بين السلطة الوطنية وإسرائيل على قيام دولة فلسطينية، بغض النظر عن طبيعة هذه الدولة وملاحظاتكم عليها، كيف ستعاملون مع هذه الدولة؟

□ نحن في هذه اللحظة لا نستطيع أن نتصور ما هو المطروح كي نعطي رداً عليه. لكننا نترك للتطورات على أرض الواقع أن تأخذ مجراها. والحركة منفتحة على المشاركة إذا كانت هذه المشاركة غير مقيدة بقيود إسرائيلية كما حدث في أوسلو، وهذا هو الضابط الأساسي.

■ هل تفكر حركة "حماس" في التحول إلى حزب سياسي في ظل صعوبة ممارسة الكفاح المسلح الذي ربما يصبح متعذراً؟

□ الاحتلال لا يناسبه النهج السياسي. ولو كانت الوسيلة السياسية ناجعة من وجهة نظرنا لكننا أول من استخدمها. فنحن لسنا طلاب قتال، ولسنا مغرمين بالقتال، لكننا نؤمن بأن إدارة الصراع مع عدو محتل لا يناسبها التفاوض معه لأنه يعني استسلاماً للقوة. ومن هنا فإن القوة تواجه بالقوة، والتفاوض يواجه بالتفاوض.

وفي أي فترة تتعذر وسائل المقاومة ستبتكر المقاومة وسائل جديدة تناسب الوضع القائم لتكون ورقة ضغط قوية لا ورقة تستجدي حقوقها، بل تفرضها على الطاولة.

■ ماذا تعني الدولة الإسلامية بالنسبة إليكم، وما موقفكم من العلمانيين فيها؟

□ نحن نؤمن بالديمقراطية التي تتشابه في جزء منها مع مفهوم الإسلام للشورى، ونؤمن بحرية التعبير للشعب الفلسطيني وبمشاركته الفاعلة في اختيار حكامه وقادته. وبالتالي نحن نتعايش مع كل الأفكار والطروحات والأيديولوجيات القائمة في مجتمعنا. وهذه لم تكن وليدة اختراعنا بقدر ما هي تراكمات واقعتنا الفلسطيني المعاصر. ونحن لا نتجاهل الواقع، ولا نلغي الآخر.

نحن نؤمن بالآخر، وبالتنافس الديمقراطي بين القناعات والأفكار والمبادئ من أجل إقناع الشارع بالأجندة. وبهذا المفهوم نحن نقبل أن تكون الديمقراطية هي الحكم. نحن لا نقبل أن نصل إلى الحكم بالديمقراطية وعندما نصل نلغي هذه الديمقراطية ولو كنا الأغلبية. هذا الأمر يعتبر انقراضاً، ونحن لا نقبل به في مفهومنا السياسي، ونترك لقناعة الشارع أن تحدد؛ فالشعب هو الحكم.

من ناحية أخرى أود أن أعرج على فكرة تظلم الإسلام عندما تطرح القوانين الإسلامية على أنها عنصرية دينية. هذا مفهوم مغلوط فيه، فالقوانين الإسلامية قوانين إنسانية - عالمية - ربانية تحقق العدل والمساواة والتكافؤ لكل بني البشر. وأتحدى أن يكون هناك أي قانون إسلامي يتعدى هذه المفاهيم.

■ يقولون إنه كان هناك خلافات داخل "حماس"، وفي النهاية انتصر التيار البراغماتي المعتدل الذي يتعامل مع ظروف الوضع الدولي والإقليمي؟

□ أولاً، لا يوجد داخل الحركة تيار براغماتي وتيار أيديولوجي، وإنما هناك تيار موحد له اجتهاداته المتعددة. يجتهد في كل مسألة اجتهادات متنوعة. العقائدي في هذه المسألة قد يكون براغماتياً في أخرى. نحن بفهمنا الإسلامي ندمج بين الأيديولوجيا والمصلحة دمجاً يحقق الاثننتين معاً. وبالتالي إذا وجد من يركز على الجانب الأيديولوجي، ومن يركز على الجانب المصلحي في الحركة، فالاثنتان يصوغان القرار بعد النقاش والتحاوور لأن الإسلام في ذاته فكرة أيديولوجية نقية، وفي الوقت نفسه لا يخرج عن إطار مصالح البشر في الحياة الكريمة الحرة والمستقيمة.

وبالتالي لا يوجد لدينا صنفان، وإنما هناك اجتهادات. والهدنة كانت لأول مرة محط إجماع، وليست مجالاً للخلاف.

■ لوحظ خلال المرحلة الماضية انصراف حركة "حماس" عن التركيز على مسألة الإصلاح الداخلي. هل لدى الحركة نية، في ظل الهدنة، للالتفات إلى القضايا الاجتماعية والاقتصادية وقضايا الإصلاح عامة؟

□ نعم، نحن نقول إن المرحلة السابقة مرت بترسيخ مفهوم المقاومة، ولم تعط فيها الحركة الاهتمام الكامل لنقد السلطة، إذ كان التركيز على إبراز مشروع المقاومة الذي

كان مطلوباً إلغائه.

وفي المرحلة المقبلة، بعد أن تجذر مشروع المقاومة، لا بد من أن تعطي الحركة الإصلاح الداخلي جزءاً من انتباهها. هذا ما حملته الحكومة الجديدة كمشروع. وكما نكون جزءاً من تصحيح الحكومة يجب أن تكون لنا نظرة إلى أداء هذه الحكومة. وقد لاحظنا في مسيرات الجمعة الاحتجاج على قانون العقوبات والتعامل مع قضية الأسرى والمعتقلين. ■



مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: [majallat@palestine-studies.org](mailto:majallat@palestine-studies.org)  
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:  
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>